الإهـــــــداء

أهدي هذه الأطروحة للراحل الكبير، قائدي وصديقي جورج حبش، وقوة مثالي الموشح بنقاوة ثورية محمد قطامش الذي شُل في زنازين الاحتلال العنصري، والأم الفريدة رسمية البرغوثي «أم العبد»، وسهى البرغوثي شريكة النضال في مسيرة استثنائية، والشهيد الذي ترك بصمات تربوية ربحي حداد، والزعيم المحترم بشير الخيري، وملك الثقافة والاجتهاد في السجون الاحتلالية يعقوب دواني، ومحمد الأسود «جيفارا غزة»، وفرسان تجربة الاستخفاء الذين صانوا، وكوكبة الرفيقات اللائي ثابرن وكن محفّزات، وأشقائي الذين رفعوا هاماتهم في الزنازين، وعلى الأخص المحامي ربحي قطامش الذي كانت روحه معلقة بخيطٍ رفيعٍ، والحرّاس القدامى الذين شقوا الدرب، وكل البناة الذين لم يهدموا، وكل أبطال الزنازين الذين صمدوا، وكل الذين أرسوا المداميك ولم تلوثهم مرحلة أوسلو وعطاياها...

ولا تفوتني الإشارة إلى أن هذا النص في عداد تحية إكبار وتذكير بقبضة المحترفين الثوريين السريين الأحياء منهم والأموات الذين سكبوا رحيق عمرهم في شرايين صيرورة لا تعرف المشهدية والتراخي في درب مجرب لاقتحام السماء وصناعة التاريخ والذين عملوا بدأب لتحرير الوطن والإنسان بوجدان الثوريين الأقحاح وعافية الشباب الفوارة متجشمين كل التضحيات والعمل اليومي دون ان تفتر حماستهم، تخليدا لهم وللمقطع التاريخي الذي صنعوه.

وهو أقرب لإطار أولي للسياق العام للجبهة الشعبية في مقطع زمني محدد، من المنطقي، بل لامهرب من جزءٍ ثانٍ يجيب عن سؤال كيف، كيف تحقق هذا السياق؟ وبذلك أكون قد حافظت على مسيرة عمل من التبدد والنسيان. فأية تجربة تفتقد لأرشيفها هي تجربة دون ذاكرة، وأبعد من ذلك فالذي (يكتب حكايته يرث أرض الحكاية)، م. درويش، طالما أن الكتابة جزء بنيوي في كلية المواجهة، في مرحلة تكتسح فيها المشهد الفلسطيني تحولات يمينية منهجية مسنودة بقوى اجتماعية- سياسية وإعلام وإمكانات مالية تشن حملة منظمة ضد الإرث الثوري ورموزه. فلعل هذا الكتاب يسهم في حماية الحقيقة التاريخية من الاغتيال الواعي.

ملحوظة: قدّم هذا النص في الأساس كأطروحة للحصول على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة لاهاي، وتم الاتكاء عليه والإبحار في فضاءات واستطرادات أوسع. ولم أتطرق لتجربتي مرجئاً ذلك للجزء الثاني.

أحمد سليمان قطامش/ مطلع ٢٠١٠